



## النقد الأدبي والحداثة

زياني لبيبة<sup>1</sup>

### Literary Criticism and Modernity

Ziani lebia

**Abstract:** Literary criticism witnessed a great development in concepts and methods as a result of its influence on modernity and its intellectual, cultural and scientific foundations. Accordingly, the article seeks to define criticism as a human activity, an intellectual dialogue, a theoretical practice, and an expression of a holistic stance towards literature. As for modernity, it is a Western perception related to all aspects of man, and a manifestation of progress, development, and renewal that touched the fields of life and moved to literature and criticism.

Arab literary criticism was influenced by modernity intellectually and influenced it by creating a new conceptual and linguistic device in understanding literary phenomena, tasting them, describing them, and revealing their characteristics.

Based on the foregoing, the work aims to reveal the relationship between criticism and modernity, how does the Arab critic represent its categories, and what does he mean by critical modernity? And what are its manifestations?

**Keywords:** *criticism; literature; modernity; Arabic; critical modernity*

<sup>1</sup>University Center Salhi Ahmed Naama, Algeria, [ziani.lebna@cuniv-naama.dz](mailto:ziani.lebna@cuniv-naama.dz)



## تقديم

يعيش النقد الأدبي العربي حالات من التشظي والانشطار لأجل بناء هوية ثقافية وصناعة نقدية تتجاوز الأحكام المعيارية ، إلى تشييد حوار مع النصوص الإبداعية من منظور حدائلي .

ويعتبر الخطاب المؤسس لتلك الفرضية محاولة أولية لصياغة فكرية ونظرية، تقوم على معطيات الخبرة والمعرفة والاجتهاد والترجمة؛ إذ يتمثل مشروع الكتابة النقدية في النأي بالممارسة عن مجرد التأليف أو التصنيف إلى بناء نص يوازي النص الإبداعي من حيث النسق اللغوي والنمط التواصللي .

ويرى المهتم بالنقد الأدبي أن عصبه من النقاد توسلوا مجموعة من المناهج والمقاربات، واتخذوا عدة منهجية وأدوات إجرائية متباينة ينتمي بعضها إلى البنيوية وبعضها إلى السيميائية والأسلوبية، وقد أسهمت المعرفة اللسانية الحديثة في بلورة النشاط النقدي صياغة ومضمونا، فأضحى النص الأدبي مجالا خصبا لتجارب لغوية تنطلق من بنية الصوت ودلالته .

بالانتقال إلى وصف المادة النقدية يلاحظ القارئ أنها نشأ في بيئة عربية بلغتها الأم ترصد بنية النص العربي وتتحرى وظيفته، فالمتمعن لعينات من هذا النقد سيجد التواتر والتدرج في مسلكه الخطابي، وسيقع على مدونات تتخذ النقد آلية واستراتيجية لفهم الأدب كمنظومة اجتماعية وثقافية وحضارية، وكلغة وحوار يتضمن بؤرة دلالية وتداولية، وهي محاولة للتجديد واستحداث جهاز نقدي فيما يعرف بالحدائلي التي تأثر بها النقد وأثرت فيه بشكل واضح .

وعليه سنحاول أن نكشف علاقة النقد الأدبي بالحدائلي .



تتمثل إشكالية هذا المقال الموجز في: ما علاقة النقد الأدبي بالحدائثة؟ فيم تتمثل الحدائثة

التقديّة؟ وتأتي الإجابة عنها:

أولاً: تعريف النقد

ثانياً: مفهوم الحدائثة

ثالثاً: الحدائثة التقديّة

أولاً: تعريف النقد

## 1- لغة

ورد مصطلح النقد في المعاجم العربية بصور مختلفة تتفق جميعها في الدلالة، وهي الحكم والتمييز، حيث ورد في لسان العرب مرتباً بالتقود أي الدراهم ويظهر في قوله "تميز الدراهم وإخراج الزيف منها، والنقد: تمييز وإعطاؤها إنساناً... ونقدت له الدراهم أي أعطيتها، فانقدها أي قبضها"<sup>2</sup>. ويتأسس مفهوم النقد في معجم أساس البلاغة على المعاني والدلالات ذاته، كما نجد معجم مقاييس اللغة يتحدّد بكونه "النون والقاف والبدال يدل على إبراز شيء وبروزه... ومن الباب: نقد الدرهم، وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك.. وتقول العرب: مازال فلان ينقد الشيء إذا لم يزل ينظر إليه."<sup>3</sup>

تشارك النصوص الموضحة في دلالة كلمة النقد التي تعود اشتقاقياً إلى الجذر اللغوي (ن، ق، د) ويحيل إلى التمييز والإعطاء والقبض، والتبادل، ويتعلق النقد بالدراهم، أي أنه يندرج في المعاملات الاقتصادية والتجارية

<sup>2</sup> ابن منظور محمد أبو الفضل، لسان العرب، مج1، مادة نقد، دار صادر بيروت، 1990، ص425

<sup>3</sup> بن فارس أحمد، مقاييس اللغة، باب النون، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر ص467-468



والاجتماعية، وبالتالي يرتبط بغير المجال الأدبي، وعليه يمكن القول إن النقد فعل اقتصادي يقوم بين طرفين أو أكثر عن طريق التبادل النقدي (الدراهم).

إضافة إلى المعاني السابقة (الحكم، التمييز، القبض، الإظهار) يضيف الجوهري في صحاحه معنى ثالثا للنقد يتمثل في الحوار فيعطيه بذلك بعدا آخر غير بعد التعاملات الاقتصادية، فالنقاش والمناقشة عملية تتعدى ما سبق ذكره.

أما من الناحية الاصطلاحية، فيأخذ مصطلح النقد أبعادا مختلفة وتحديات متنوّعة، ذلك أنه فعل ونشاط إنساني يقوم على القراءة والكتابة.

## 2- اصطلاحا

يشكل النقد إضاءة فكرية لعوالم النصوص، فهو مساءلة تحليلية لمختلف الجوانب السطحية والعميقة، والنقد في الحقيقة ينأى بنفسه عن مصاف الأحكام القيمية والذاتية والشكلية التي لا تعدو أن تكون طبقة أولية من طبقات الممارسة النقدية.

ومما لاشك فيه أن هذا المصطلح يعاني صعوبة تحديده مفهوما ومنهجيا، ومرد ذلك تباين وجهات النظر، فقديمًا عد النقد تمييزا للجميل من الرديء وقد كانت سوق عكاظ موردا للأحكام النقدية على الشعر والشعراء، ومع مرور الزمن أصبح النقد عملية تخضع للشرط الأخلاقي ليصبح لاحقا نشاطا لغويا يتجاوز القراءة السطحية إلى فك مغاليق النص.

أما حديثا بدأ مفهوم النقد يتغلغل في الدراسات الأدبية واللسانية وجميع صنوف المعرفة، مما أكسبه دلالات كثيرة لا تعكس بالضرورة واقعه الممارساتي بقدر ما تسعى إلى التنظير له، ففي نظر البعض لا يزال هذا الفعل التواصلية عملية تذوق وحكم وهو الأمر الذي ذهب إليه إحسان عباس قائلا "إن النقد في حقيقته تعبير عن موقف



كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة، أو الشعر خاصة، يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقسيم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى وهي متدرجة على هذا النسق، كي يتخذ الموقف نهجا واضحا، مؤصلا على قواعد جزئية أو عامة مؤيدا بقوة الملكة بعد قوة التمييز<sup>4</sup> يقود هذا التعريف إلى استشكال معرفي مفاده، هل النقد صنف من أصناف المعرفة؟ أم أنه جهد عضلي بواسطة الكتابة يخضع لمعيار القراءة الذوقية والأحكام المعيارية؟ ومن هذا المنطلق اختلفت توجهات الباحثين في وضع حد للنقد، فحسب ما ورد في معجم المصطلحات العربية فإنه "مجموعة من الأساليب المتبعة (مع اختلافها باختلاف النقاد) لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض وتفسير النص الأدبي والإدلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها النقاد"<sup>5</sup>

لا يخلو هذا التعريف من التعميم، ذلك أنه يجعل النقد عبارة عن مجموعة من الأساليب دون الكشف عن طبيعتها، ودون تحديد الآلية المعتمدة في فحص الأثر الأدبي، ولا يخرج النقد عن دائرة الحكم وتقنين المنهج، وبالتالي فهذا التعريف يعتره النقص والدقة خاصة إذا تفحصنا حركة النقد في عالمنا اليوم، وهذا نجد أيضا لدى المسدي حين سلم بأن النقد "هو الخطاب الواصف للأدب بغض النظر عن مستويات الوصف، وتوظيفاته"<sup>6</sup> إن مسألة علمية الأدب التي نادى بها الشكلانيون الروس في أعمالهم، نكاد نجد لها خطا يوازي تلك التصورات في محاولة علمية النقد، من حيث التأسيس المنهجي، باستنطاق النص الأدبي من منظور علمي، غير أن هذه القضية

<sup>4</sup> إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة بيروت، 1983، ص5

<sup>5</sup> مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، دط، مكتبة لبنان، 1979، ص228، 229

<sup>6</sup> المسدي عبد السلام، الأدب وخطاب النقد، دط، دار الكتاب الجديدة ليبيا، 2004، ص99



تبقى مثار جدل لدى الكثيرين وحجتهم في ذلك "أن العلم يحدثنا عن العالم الحسي، بينما يتحدث النقد عن الأدب الذي يتحدث عن الإنسان وعما يفعله في هذا العالم حديثا ذاتيا قوامه الوجدان"<sup>7</sup>، إن ما تعانیه كلمة النقد اصطلاحيا ليس وليد اللحظة الراهنة، وإنما هو امتداد لتفاصيل قديمة كانت ولا تزال تسيطر على الوعي النقدي في المنظومة العربية التي لم تتخلص من تبعية الحكم والتمييز والتقييم دون التقييم، فبعد الملك مرتاض مثلا نلمس في تعريفه للنقد محاولة تجاوز للتصورات القديمة، لكنه يقع في مأزق التعميم والمنهج وفي جدلية الجنس يقول "لم يعد مجرد أحكام ساذجة أو متحيزة وحتى نزوية وموضوعية، ولكنه أمسى ممارسة معرفية شديدة التعقيد، ولا تجترئ بإصدار الأحكام الجاهزة للنص الأدبي أو عليه، ولكنها تعتمد إلى تحليل الظاهرة الأدبية ضمن جنسها الأدبي، وتأويلها بواسطة شبكة من الإجراءات والأدوات المعرفية..."<sup>8</sup>.

خلاصة التعاريف السابقة تجعلنا نعيد النظر في تأسيس شبكة مفاهيمية للنقد، باعتباره نشاطا معرفيا ولغويا، ولكن أي معرفة وأي لغة؟، يمكن أن نثير مسألة أخرى تبدو أعمق لعلها تتعلق بالوضع الإشكالي للنقد بوصفه فعلا لا يقتضي الفهم والبناء بقدر ما يسعى إلى تأسيس تساؤلات وفرضيات جديدة وهي النقطة التي يؤكد عليها أحد الباحثين قائلا "النقد الأدبي من حيث هو موضوع يتصف وضعه المعرفي بأنه إشكالي؛ إذ لا يستقر ولا يرضى بحدود صارمة ولا يقنع بمرجعية أو استراتيجية واحدة: إنه حقا ميدان معرفة دينامية يحقق المقبولية بإيجاد درجات مختلفة من المعقولية التي لا تنفي التعارض والتسليم بالاختلاف الذي كلما رام الابتعاد عنه رجع إليه بقوة، باقتراح بدائل تزيد الوضع تعقيدا وإشكالا..."<sup>9</sup>، وبالتالي فالنقد إذن عملية معقدة تتعدى الوصف والتفسير، وتخرج عن تقنين المنهج، فهو يتعالى عن مرجعية مؤسسة إلى مرجعيات ثقافية متعددة.

<sup>7</sup> الدغومي محمد، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1999، ص163

<sup>8</sup> مرتاض عبد الملك، في نظرية النقد، متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دط، دار هومة، الجزائر، 2002، ص227

<sup>9</sup> الدغومي محمد، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، ص9



مما سبق نجد أنفسنا إزاء زخم معرفي كثير يحتاج إمعان النظر، فنحن بحاجة إلى تحديد

دقيق لهذا المصطلح، والواقع يقول عكس ذلك، فالنقد تفاعل وحوار بين النص والناقد بواسطة فعل القراءة الواعية، وفي عصرنا لا يؤلف ميدان نظرية، وليس علما، وهي الفكرة التي صرح بها رولان بارث في كتابه نقد وحقيقة، يقول "ليس النقد هو العلم، فهذا يعالج المعاني وذاك ينتجها. غير أن النقد يحتل مكانا وسطا بين العلم والقراءة. فهو يعطي الكلام المجرد لغة، ويعطي اللغة الأسطورية كلاما. وهي لغة صنع العمل منها وعليها تقوم المعالجة العلمية..."

إن كل ما يستطيع أن يفعله هو أن يولد معنى يشتقه من الشكل. فالشكل هو العمل"<sup>10</sup>

تصور رولان بارث للنقد معقد جدا، وليس من السهل تبصر دلالاته، نظرا للمرجعية المعرفية التي يتكئ عليها، وللغة التي يكتب بها، ففي قوله إنه يتوسط العلم والقراءة، يمكن أن نفترض أن النقد ليس علميا ولن يكون لأنه يقوم على اللغة، ينطلق منها وإليها، وهي قوام العمل ومنه يتولد معنى وذلك المعنى أولي، وليس المقصود به الفهم، وإنما هو شكل من أشكال التدمير لسلطة اللغة باللغة.

النقد، إذن، شكل من أشكال القراءة القائمة على تبصر لغة العمل، من حيث الشكل والمضمون ولكن ليس بالمعنى التقليدي لهذه الثنائية، فهو "يشطر المعاني، ويأتي بلغة ثانية فيجعلها تحوم فوق لغة العمل الأولى، أي أنه ينسق بين الإشارات. والمقصود باختصار هو إجراء تشويه"<sup>11</sup>. هذا التشويه لا يحمل المعنى الأخلاقي للكلمة، بقدر ما يعبر عن جمالية إعادة الصياغة لما سبق من أصوات وكلمات وصور، فالنقد يسعى ليكون كلاما على كلام، لغة على لغة بواسطة اللغة دون أي رقابة أو منهجية، فهو محاولة للاكتشاف والتشويه.

<sup>10</sup>بارث رولان، نقد وحقيقة، ترجمة نذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 1994، ص101

<sup>11</sup>بارث رولان، نقد وحقيقة، ص102



### ثانياً: الحداثة

الحداثة في حقيقة الأمر مقولة، والمقولات ترهّن بالذهن وهذا ما يجعلها تمثّل تصوّراً غير واضح المعالم في البيئة العربية، لأن البعض ربطها بمفهوم الزمن الحاضر وبالتّجديد على وجه الخصوص، لكنّها تقتضي اصطلاحاً الارتباط بالحاضر دون مغالاة في ذلك. إنّ الحداثة تأتي مقابل ضديّ للتراث، وتعني لدى البعض تجاوزه وقطع الصّلة به، لأنّ الحداثة بمعنى التّجديد في كل شيء دون مراعاة الماضي، ذلك الماضي الذي لا يعدو أن يكون مرحلة سابقة، ولكنّ هذا التّصوّر بعيد جداً عن مفهوم الحداثة.

ربط البعض الحداثة بالقراءة وهو ارتباط فعلي يجعل القراءة نشاطاً وفعلاً تحييناً للحداثة، إلّا أنّه مفهوم غير واضح، ومن هنا يتبيّن أنّ مشكلة الحداثة تتمثّل في الصّياغة والأفكار ممّا يستوجب إعادة النّظر في مسألتها أكاديمياً و مفهوماً، لأنّ الحداثة في أصولها الغربية انبثقت عن الفكر الكاثوليكي وارتبطت بتعاليم الكنيسة، فاقترنت بالّذين في البداية ثمّ انتقلت إلى الفنّ والآداب حيث ربطها الإنجليز بالأسلوب وظهرت نتيجة الصّراع بين القدامى والمحدثين في أوروبا.

ظلّت الحداثة محصورة في منطق حضاري وديني، قوامها الصّراع بين الوثنيّة والمسيحيّة، وبقيت حبيسة الصّدمات العقائديّة لفترة طويلة، إلى أن مسّت ميادين الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافية، ولعلّ الجانب الأكثر والذي يهّمنا الجانب الفكري والأدبي.

يتحدّد مفهوم الحداثة بعلاقتنا بالآخر وصورتنا في وعيه، من حيث كونها تعبر عن فكر وقيم الذات والغير، ومن هنا وجب الفصل بين ما هو معرفي وأيديولوجي، ورغم ذلك يؤكّد الباحثون على اللبس في وضع حدّ لها، ومن جملة التعريفات نجد بأنّها " مجموعة من العمليّات التّراكميّة التي تطوّر المجتمع بتطوير اقتصاده وأنماط حياته وتفكيره وتعبيراته المتنوّعة، معتمدة في ذلك على جدليّة العودة والتّجاوز، عودة إلى التّراث كعقل نقدي متجدّد متجاوزة





التقاليد المكتبلّة ومحزرة الأنا من الإنمائية الدغمائية الضيقة، سواء كانت للشرق أم للغرب، للماضي أم للحاضر، لتجعل من الحضور آنية فاعلة مبدعة في الذات والمجتمع، ومن الإقبال عنصرا معيارا للفكر والعمل<sup>12</sup> هذا التصور يحيل إلى جانب مهم من الحداثة وهو ما يطلق عليه الحداثة الرجعية التي تنطلق من التراث وترجع إليه في محاولة لإثبات الذات والتأكيد عليها، وهو إثبات يتأرجح بين العودة إلى القديم والاستفادة من الغرب دون الوقوع في مأزق المحاكاة، ويعود الفضل في ظهور هذا التصور إلى التطور الكبير الذي شهده الفكر الإنساني وكان له الأثر البالغ على مناحي الحياة الإنسانية.

يقوم مفهوم الحداثة على الوعي بها وبالوجود من خلال التقد والتجاوز والتقدم، وفي ذلك انتقال سلس من الثابت إلى المتغير، قصد تأسيس مشروع ذات جديدة وبالتالي فهي " تتجاوز المظاهر وتبحث في الجذور، وهذه الجذور لن تكون إلا بناء الفكر قبل أركان التحديث الأخرى، هذا ما قام به مجموعة من المفكرين عبر بوابة النقد؛ نقد العقل ونقد المنهج ونقد طرق قراءة التراث، وكانت أداة التقد هي العقل وأيضا حسب الاستفادة من تطور الفكر المنهجي المعاصر وخصوصا في ميدان العلوم الإنسانية<sup>13</sup>

يبدو أنّ الحداثة بوصفها إنتاجا فكريا غربيا، تبنى على أبعاد مختلفة، وتتضافر فيما بينها لتؤسس لنفسها بعدا كونيا وبعدا خصوصيا، فأما الكوني فينبثق من كونها عامة وشاملة وتتعلق " بجوانب حياة الإنسان كافة، اجتماعية كانت، أو فكرية أو صناعية أو غيرها. وبالتالي فالحدائثيون يقدمون تصوّرا عاما في حياة الإنسان<sup>14</sup>

<sup>12</sup> البريكي فتحي، المسيري عبد الوهاب، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، 2003، ص 212

<sup>13</sup> اليعقوبي عبد الرحمان، الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون، محمد الجابري، هشام جعيط)، مركز إثناء للبحوث والدراسات، بيروت لبنان، 2014، ص 11

<sup>14</sup> بوزيرة عبد السلام، طه عبد الرحمان ونقد الحداثة، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، د ت، ص 37



في السياق ذاته يربط بختي بن عودة الحداثة باللحظة الفكرية، وينأى بها عن التاريخ، فهي ذات طابع إشكالي في العقل البشري، يقول " الحداثة مرادف للنقد، ومساو للتغيير، وهي ليست توكيدا لمبدأ لازمني، وإنما امتداد للعقل النقدي الذي لا ينفك يسأل ذاته، بحاسبها ويهدمها لكي يبعث من جديد.<sup>15</sup>، ومن هنا يتكوثر الوعي الحداثي الرامي إلى بناء إنسان حداثي.

نخلص في الأخير إلى أنّ الحداثة إضافة لما سبق ذكره تتسم بطابعها التجديدي، فهي " تشير إلى فكرة التقدّم والتطوّر والتجديد الدائم في بنية الفكر والواقع ودفع الإنسان إلى آفاق المستقبل والقطيعة مع كلّ المعيقات سواء في الماضي أو الحاضر<sup>16</sup>

### ثالثا: الحداثة النقدية

ما علاقة النقد بالحداثة؟ هل تأثر النقد الأدبي العربيّ بالحداثة في بعدها الكوني والخاص؟ إلى أيّ مدى استثمر الناقد الأدبي مقولات الحداثة ومفاهيمها وتصوّراتها في ممارسته النقدية؟ لا يمكن أن نتجاهل التطوّر الذي يشهده العالم في ميادين الحياة، ولا يمكن أن يكون الأدب في معزل عن هذه التطوّرات، ولن يكون النقد بعيدا عن هذه التغيّرات، فحداثة النقد تتعلّق ببناء منهج قويم وجهاز اصطلاحي يلائم الرّاهن، قوام هذه الحداثة النصّ الأدبي ومنتهاها إليه.

لقد مرّ النقد الأدبي العربيّ بمراحل متباينة كانت بدايتها بالنقد الذاتي أو الانطباعي الذي يصدر فيه الناقد حكمه على النصّ بناء على ذائقته الفنية وانفعالاته أنّجاه الشّعور على وجه الخصوص، فبقيت الأحكام تقييمية وغير

<sup>15</sup> بن عودة بختي، رنين الحداثة، منشورات رابطة لبنان، كتاب الاختلاف، الجزائر، 1996، ص171

<sup>16</sup> اليعقوبي عبد الرحمان، الحداثة الفكرية في التّأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون، محمد الجابري، هشام جعيط)، مركز إغناء للبحوث والدراسات، بيروت لبنان، 2014، ص34



موضوعية تأتي سليقة لتعبّر عن مدى إعجاب الناقد أو المتذوق لهذا النصّ عن ذلك، فيقال هذا شاعر أجاد في كذا، وأخفق في موضع آخر.

انتقل النّقد الأدبي العربيّ إلى مرحلة الأحكام المعيارية بناء على المعيار الجمالي أو الأخلاقي، لكنّه لم يدم طويلا حتّى جاءت ممارسة فنيّة قائمة على أحكام لغويّة ودلاليّة وبلاغيّة. بعد النهضة العلميّة تأثّر النّقد العربي بالمنجز الغربي وانفتح على المناهج السياقيّة التي تركز على المحيط الخارجي والظروف الإنتاجية التي ولّدت النصّ الأدبي، فبدأت عناية النّقاد بالظروف الاجتماعيّة والتاريخيّة والتفسيّة، وبهذه الصّورة تشكّلت مناهج كثيرة حاولت تحليل النصّ والكشف عن دلالاته، وتأسست مفاهيم جديدة توحى بالعدول عن النمط السائد والمعيار المطرد، وتجاوز النّقاد الأحكام الذاتيّة إلى نقد منهجي.

لم يفلح النّقد السياقي في مساءلة النصّ الأدبي لأنّ العناية بالظروف الإنتاجيّة أهملت البنية الداخليّة، وأقصت المعاني والدلالات اللّغويّة، فانبثقت دراسات جديدة من رحم اللّسانيات تدعو إلى التركيز على النّسق والبنية، ومن هنا بدأت ملامح الحداثة التّقديّة التي لخصّها الكثيرون في مقولة موت المؤلّف، وهو موت يفضي إلى التّعامل مع البنية الداخليّة للنّص، ويقصد بها المكوّن الصّوتي والتّركيبي، دون المعنى، فالنصّ عبارة عن وحدات متداخلة فيما بينها لا يمكن فصل أحدها عن الآخر.

يقوم منهج الحداثة التّقديّة على مقومات ثلاثيّة " يعكس ترتيب مدارجها فيشكّ تركيبا مقابلا ينطلق من الممارسة التي توحى بالعدول، فيتّجه صوب المواصفة لتفسير هذا التجاوز والانزياح إلى أن يستقرّ في التّنظير حيث يؤسّس قواعد الحداثة باعتبارها تجديدا للرؤية وتغييرا للمطرّد"<sup>17</sup>، فالحداثة التّقديّة بهذه الصّورة تقتضي التدرّج الفعلي من الكشف إلى التّشخيص وصولا إلى المعالجة ويتمّ العدول عن النمط السائد في مساءلة النصّ الأدبي.

<sup>17</sup>المسدي عبد السلام، النّقد والحداثة مع دليل ببلوغراني، دار الطليعة للطباعة والتّشتر، بيروت، لبنان، 1983، ص11



انتقلت الحداثة إلى الأدب والنقد من زوايا مختلفة، وهو انتقال جزئي أدى إلى التغيير في الرؤية والمسار والغاية والأهداف والوسائل، مما خلق تجديدا في مسائل كثيرة، فقد نفذت الحداثة " عبر المضمون وعبر اللغة ثم من خلالها تنفذ إلى النقد كذلك، على أن مسلك المضمون يوصلنا إلى النصّ الإبداعي وإلى الخطاب النقدي مثلما تحيلنا الصياغة إلى لغة النصّ الأدبي ولغة النصّ النقدي"<sup>18</sup>، لقد تولدت هذه الحداثة من النصّ والمسلك الجديد الذي انبثق عنه خطاب نقدي مواز للنصّ الأدبي، ومن هنا تتضافر العملية ليتحدّث النقد عن الأدب ويصوغ قولا من جنسه.

تتجلّى الحداثة النقديّة في ظهور البنيويّة كمنهج نقدي يتعامل مع النصّ الأدبي في ذاته ولذاته، ومن ذلك جاء الإقصاء المنهجي للسياق، وتمّ في المقابل اعتماد النموذج اللغوي بموت المؤلف، فالبنيويّة تدعو إلى استقلالية العمل الأدبي مستبعدة المعنى ومقصديّة المؤلف، مركّزة على الطابع التجريدي الذي قامت عليه اللسانيات، وبهذه الطريفة انتقلت المفاهيم والتصوّرات إلى النقد العربي فجددّ النقاد في تصوّراتهم وطرائق تعاملهم مع النصّ الأدبي. أدى انتقال المناهج النقديّة الغربية إلى البيئة النقديّة العربيّة إلى تحديث العقل العربي وتحليصه من راسب الهوان الذي مسّ الفكر من سنوات، لكنّه انتقال نتج عنه اضطراب في المفاهيم والمصطلحات وفوضى منهجيّة كبيرة لاتزال مخلفاتها وخيمة على النقد العربي.

لا يمكن القول بحداثة نقدية "إلا متى جدّد النقد مقولاته التي يصدر عنها ومتصوّراته التي يتحوّل بين حقولها ومصطلحاته التي يتعامل بها مدليا بمفاهيمه التقديرية وممارسا معاييرها الإجرائية، بل قل بعبارة محوطة إنّ النقد لا يتجدّد إلا إذا جدّد نظامه المفهومي أو قل إنّه لا يتحوّل إلى حداثة نقدية إلا عندما يستحدث جهازا

<sup>18</sup>المسدي عبد السلام، النقد والحداثة، ص12



معرفيا يباشر به النصّ الأدبي كما لم يباشره به السّابقون<sup>19</sup>، ومعنى ذلك أن يتمّ استحداث نظريّة عربيّة واضحة المعالم تقوم على خصوصيّة عربيّة تراثيّة منفتحة على الآخر دون الانبهار به.

يشير عبد السّلام المسديّ إلى أنّ الحداثة التّقديّة تكون من جهتين، من جهة المضمون ومن جهة الصّيّغة.

## 1- من حيث المضمون

يقصد به التّجديد في الأفكار وفي بنية العقل وذلك بتقديم البديل المناسب في التّعامل مع النصّ الأدبي، لأنّ طبيعة الفعل التّقدي تقتضي التدرّج في مكونات العمل الإبداعي والانتقال به من مجرد متتالية لغويّة إلى فحص مكوّناته وتشخيصها ومعالجتها من الصّوت إلى القصد، فيمرّ التّأقّد بمراحل مختلفة تؤدّي به إلى فهم المكتوب وذلك "باستحداث مقولات الاستكشاف عند تحديد موضوع المباشرة التّقديّة في النصّ الأدبي ثمّ يمرّ إلى استنباط قوالب الوصف وأجهزة التّشخيص بغية رسم معالم الخطاب الأدبي وبعد ذلك ينتهي السلم إلى ابتكار أدوات المروحة بين التّحليل والتّأليف حتّى يتسوّى إجراؤهما على بنية النصّ بفكّ انتظامه الظّاهري ثمّ إعادة بنائه طبقاً لعناصر الجهاز التّقدي المبتكر<sup>20</sup>

وفي هذا السّياق نذكر جهود عبد الفتّاح كيليطو في إعادة قراءة التّراث الأدبي العربي بمشكاة الإضاءة الفكرية والمنهجية القائمة على المكاشفة النصّية بعيداً عن التّطبيق التّعسّفي للمناهج الغربية، محترماً في ذلك خصوصيّة النصّ العربي ومقوماته الفكرية والبيئية والتّقافيّة والحضاريّة.

كما نذكر محاولات الغدّامي التي جمع فيها بين الجهاز التّراثي والغربي، في محاولة لتأسيس رؤية حداثيّة، وغير بعيد تنصدّر أعمال محمّد مفتاح الحداثة التّقديّة باستحداثه لفكر نسقي مفتوح من حيث الرؤية والممارسة،

<sup>19</sup>المسديّ عبد السّلام، التّقّد والحداثة، ص16

<sup>20</sup>المسديّ عبد السّلام، التّقّد والحداثة، ص17



وقد حاول عبد الملك مرتاض التأسيس لذلك في دعوة صريحة إلى التّكامل المنهجي باستنباط التراث، ولعلّ المسدّي أيضا سار على التّهج ذاته.

## من حيث الصّياغة

تمثّل اللغة المورد الأساس لبناء التّقّد وتأسيس جهازه المفاهيمي والمصطلحي، فالتّقّد بحاجة إلى التّجديد في أدواته الإجرائية والتي " يقصد بها طبيعة الخصائص التي تتسم بها لغة النّقّد في نوعيتها... ولكنّ حداثة الصّوغ - كما نقصد إلى تأسيسه نظريا- تقترن أساسا بطبيعة الخطاب النّقدي حيث تتوي بؤرة "الفعل الحدائي" طالما هو مكمّن الخصوصيّة في نقدنا المعاصر"<sup>21</sup>.

فالتّقّد الأدبي بحاجة إلى مواكبة التطوّر الهائل الذي يشهده العالم اليوم، في مجال السرد والشعر، ذلك أنّ طبيعة النصّ تفرض على الناقد التسلّح بالعدّة اللازمّة لولوجه، وستسمح له باستحداث مقولات جديدة كمقولة السرد التّابع واللاحق في الرّواية والقصة مثلا، وسيكون النصّ مجالا خصبا لصياغة خطاب نقدي جديد.

إنّ الحدائنة التّقديّة في الأساس هي التّغيير والتّجديد في الفكر النّقدي وبنيته من حيث الدال والمدلول الخطابي، ومراد ذلك محاولة تأسيس خطاب نقدي عربي خالص، ينطلق من النصّ وخصائصه البيئية والتّقافيّة والدينيّة واللّغويّة والفكريّة قصد الخروج من التّيه الذي يعيش النّقّد والأدب معا.

## خاتمة

من بين التّنتائج التي يمكن استخلاصها ما يلي:

-التّقّد فاعليّة إنسانية ونشاط ذهني يعتمد على القراءة والكتابة وينطلق من النصّ وينتهي إليه، وهو ظاهرة قديمة لازمت الإنسان ولا يزال معه؛

<sup>21</sup> المسدّي عبد السّلام، النّقّد والحدائنة، ص18



-مرّ النقد الأدبي العربي بمراحل مختلفة تباينت بين الأحكام الذاتية والمعيارية إلى النقد المنهجي القائم على أسس علمية موضوعية ولغوية تسهم في بناء نقد واع داخل المنظومة الفكرية والأدبية والثقافية؛  
-تمثّل الحداثة ظاهرة وتصورًا غريبًا ولحظة فكرية تقوم على النقد والمساءلة والتجاوز، وتمسّ ميادين الحياة جميعًا، وهي ليست حالة عارضة وإنما امتداد للعقل البشري الذي يهدم ليبعث الشيء من جديد؛  
-علاقة النقد الأدبي بالحداثة جدلية وتكاملية في الآن ذاته، ذلك أنه تأثر بها وبمقولاتها وأثرت فيه، فأحدث تغييرًا جذريًا على مستوى التنظير النقدي والممارسة الفعلية، فقد احتكم النقد إلى المناهج الحداثية واستثمر الناقد العربي أدواتها الإجرائية؛  
-إنّ الحداثة النقدية تظهر على مستوى الشكل والمضمون، فأما شكلا فتتعلّق بالصياغة والأسلوب، والمضمون يتأسّس على الأفكار والتصورات، فقد شهد النقد الأدبي كفعل تغيرًا وتجديدًا في كيفية التعامل مع النصّ الأدبي، وهو تعامل من نوع خاص، كان بعضه نابعا من النصّ ذاته، وبعضه الآخر تطبيقًا تعسفيًا منهج بعينه؛  
-من آثار الحداثة في النقد الأدبي محاولات التجديد القائمة على العودة إلى التراث والاستفادة منه، بمراجعته وإعادة بنائه وفق الزّاهن، ومنها ما أحدث خلطًا منهجيًا وممارسات هجينة قائمة على التلّفيق المنهجي كمحاولة للتّجاوز.

-لا يزال النقد الأدبي العربيّ في بحث عن هويّة نقدية عربية.

## قائمة المصادر والمراجع

1. ابن منظور محمد أبو الفضل، لسان العرب، مج1، مادة نقد، دار صادر بيروت، 1990،
2. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة بيروت، 1983،
3. بارث رولان، نقد وحقيقة، ترجمة نذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 1994،
4. البريكي فتحي، المسيري عبد الوهاب، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، 2003،
5. بن عودة بختي، رنين الحداثة، منشورات رابطة لبنان، كتاب الاختلاف، الجزائر، 1996،
6. بن فارس أحمد، مقاييس اللغة، باب النون، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج2، دار الفكر
7. بوزيرة عبد السلام، طه عبد الرّحمان ونقد الحداثة، جداول للتّشريح والتّوزيع، لبنان، د،



8. الدّغومي محمّد، نقد النّقد وتنظير النّقد العربي المعاصر، ط1، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1999،
9. مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، دط، مكتبة لبنان، 1979،
10. مرتاض عبد الملك، في نظرية النّقد، متابعة لأهم المدارس النّقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دط، دار هومة، الجزائر، 2002،
11. المسدي عبد السلام، الأدب وخطاب النّقد، دط، دار الكتاب الجديدة ليبيا، 2004،
12. المسديّ عبد السّلام، النّقد والحداثة مع دليل بيبليوغرافي، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1983،
13. اليعقوبي عبد الرّحمان، الحداثة الفكرية في التّأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمّد أركون، محمّد الجابري، هشام جعيط)، مركز إثناء للبحوث والدراسات، بيروت لبنان، 2014،